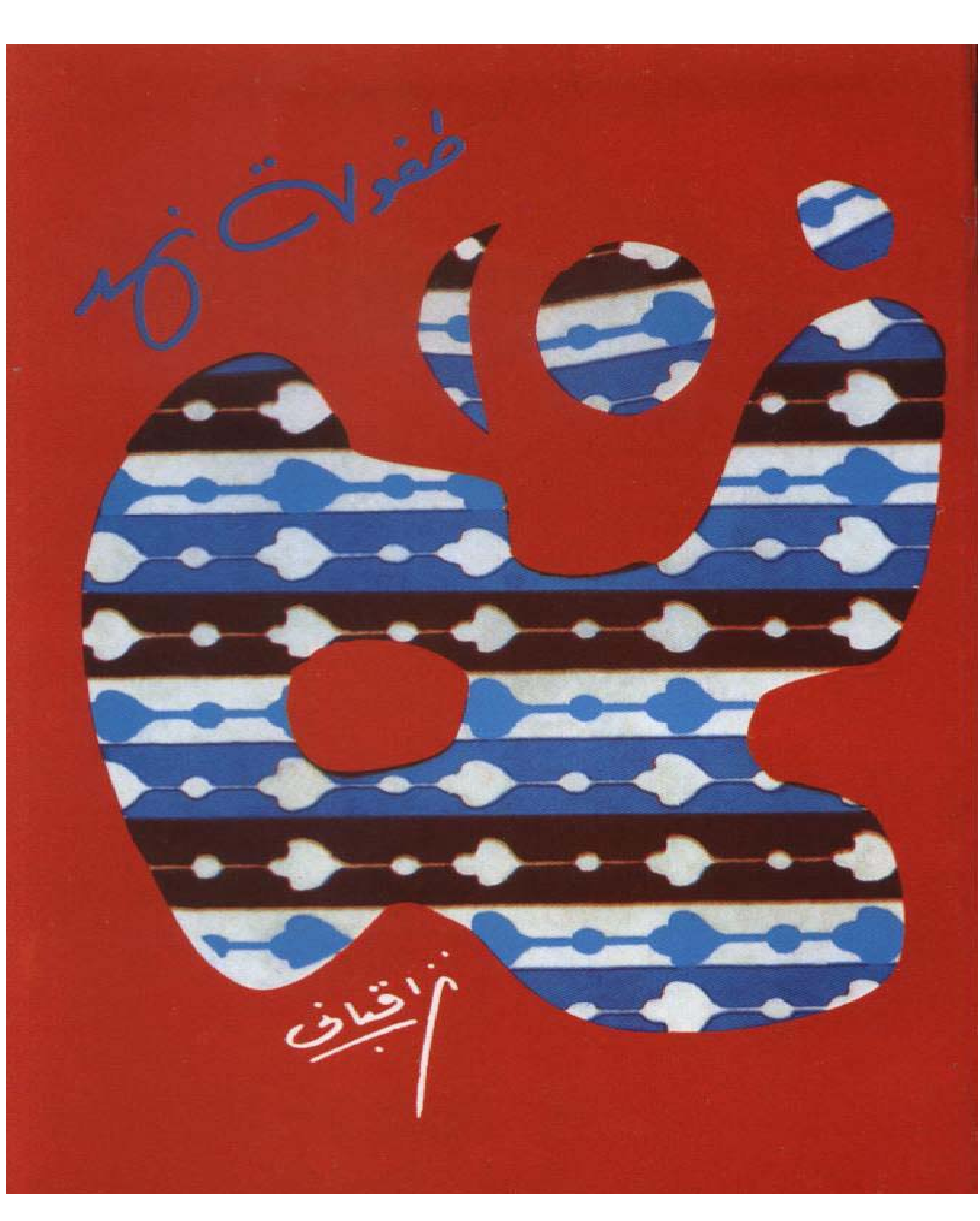

طفولة نهد
نزار قباني

الطبعة الثالثة والعشرون

نيسان (أبريل) ١٩٨٩

في الشعر

حكاية الشعرْ كحكاية الوردة التي ترتجف على الرابية ، مخدةً من العبير.. وقميصاً من الدم ..

إنكَ تحبها هذه الكتلةَ الملتهبةَ من الحرير التي تغمز إصبعك ، وأنفكَ ، وخيالكَ ، وقلبكَ ، دون أن يدور في خلدك أن تمزقها ، وتقطعَ قميصها الأحمر ، لتقفَ على سر هذا الجهاز الجميل الذي يُحدثُ لك هذه الهزةَ العجيبة ، وهذه الحالةَ السمحةَ ، القريرةَ ، التي تغرقُ فيها ....

وحين تفكرُ في هذا الإثم يوماً ، فتشقَّ هذه اللفائف المعطورة ، وتذبحَ هذه الأوراق الصبية ، لتمدَّ أنفكَ في هذا الوعاء الأنيق ، الذي يفرز لك العطر ، ويعصرُ لك قلبه لوناً ، حين تدورُ في رأسك هذه الفكرةُ المجرمة ، لا يبقى على راحتك غيرُ جثة الجمال .. وجنازةِ العطر .

وفي الفن ، كما في الطبيعة ، وفي القصيدة كما في الوردة وكما في اللوحة البارعة ، يجب أن لا نعمدَ إلى تقطيع القصيدة ، هذا الشريط الباهر النديّ من المعاني ، والأصباغ ، والصور ، والدندنة المنغومة .

حرامٌ أن نمزق القصيدة لنحصي (كمية) المعاني التي تنضمُّ عليها ، ونحصر عددَ تفاعيلها ، وخفيَّ زُحافاتها ، ونقفَ على (لون) بحرها ..

فالإحصاء ، والسحابُ ، والتحليلُ ، والفكرُ المنطقيُّ يجب أن تتوارى كلها ساعة التلقين المبدع . لأن كل هذه المَلَكات العقلانية الحاسبة ، فاشلةٌ في ميدان الروح ..

فالقمر .. هذا الينبوع المفضض الذي بذر على الكون جدائل الياسمين .. يُحدثُ لكَ ولي ولكل إنسان حالةً حبيبةً ملائمة . إنك تفتح قلبك له ، وتغمسُ أهدابكَ في سائله الزنبقي دون أن تعرف عن هذا (الجميل) أكثر من أنه قَمَر .

ولو اتفق أن أوضحَ لكَ فلكيٌّ سرَّ القمر ، وأجواءه ، وجباله الجرداء ، وقممه المرعبة ، وأدار لك الحديث عن معادنه ، ودرجة حرارته ورطوبته، إذنْ لأشفقتَ على قلبك ، وأسدلتَ ستارتكَ ..

إذن ، **فلنقرأ كما ننظر إلى القمر** .. بطفولة ، وعفوية ، واستغراق .

فالتذوق الفنيُّ كما قال الفيلسوف الايطالي كروتشه في كتابه (المجمل في فلسفة الفن) هو عبارة عن (حدس غنائي) . والحدس Intuition هو الصورةُ الأولى للمعرفة ، وسابق لكل معرفة ، وهو من شأن المخيلة ، وهو بتعبير آخر **الإدراك الخالي من أي عنصر منطقي** .

إذنْ فكل أثرٍ فني يجب أن يُسْتقبل عن طريق (الإدراك الحدسي) لا (المنطقي) أو (الذهني) ، لأن هذا النوع الأخير من الإدراك ميدانه العلم والظواهر المادية .

يقول كروتشه :

" .. على الناقد أن يقفَ أمام مبدعات الفنّ موقفَ المتعبد لا موقف القاضي ، ولا موقفَ الناصح ، وما الناقدُ إلا فنانٌ آخر يُحسُّ ما أحسه الفنان الأول فيعيش حدسهُ مرةً ثانيةً ، ولا يختلف عنه إلا في أنه يعيش بصورةٍ واعيةٍ ما عاشه الفنان بصورة غي واعيةٍ .. ".

ومتى تم انتقال هذه السيَّالة الدافئة من الأصباغِ ، والنغم ، والغريزةِ والإنفعال .. إليكَ ، تنتهي مهمةُ الشعر ، فهو ليس أكثر من (**كهربةٍ جميلة**) تصدم عصبك ، وتنقلك إلى واحاتٍ مضيئة مزروعة على أجفان السحاب .

*

مهمة القصيدة كمهمةِ الفراشة .. هذه تضعُ على فم الزهرة دفعةً واحدة جميعَ ما جنتهُ من عطرٍ ورحيق ، منتقلةً بين الجبل والحقل والسياج .. وتلك – أي القصيدة – تفرغُ في قلب القارئ شحنةً من الطاقة الروحية تحتوي على جميع أجزاء النفس ، وتنتظمُ الحياةُ كلها .

يجب أن لا نطلب من الشعر أكثرَ من هذا . ويتجنى على الشعر الذين يريدون منه أن يغلَّ غلة ، ويُنتج ريعاً . فهو زينةٌ وتحفة باذخة فحسب .. كآنية الورد التي تستريح على منضدتي ، لستُ أرجو منها أكثرَ من صحبة الأناقة .. وصداقة العطر ..

لذلك نشأتُ على كرهٍ عنيد للشعر الذي يُرادُ من نظمه إقامةُ ملجأ .. أو بناءُ تكيَّة .. أو حصرُ قواعد اللغة العربية ، أو تأريخُ ميلاد صبي ، أو تعدادُ مآثر الميت على رخامة قبره .

قرأتُ في طفولتي تعاريفَ كثيرة للشعر ، وأهزلُ هذه التعاريف " الشعر هو الكلامُ الموزونُ المُقَفَّى ".

أليس من المخجل أن يلقن المعلمون العرب تلاميذهم في هذا العصر ، عصر فلقِ الذرة ، ومراودةِ القمر ، مثل هذه الأكذوبة البلهاء ؟

ماذا تقول للشاعر ، هذا الرجل الذي يحمل بين رئتيه قلبَ الله ، ويضطربُ على أصابعه الجحيم ، وكيف نعتذر لهذا الإنسان الإله الذي تداعب أشواقه النجوم ، وتفزع تنهداته الليل ، ويتكئ على مخدته الصباح ، كيف نعتذر له بعد أن نقول له عن قصيدته التي حبكها من وهج شرايينه ، ونسجها من ريش أهدابه " إنها كلام " !.

وكلمةُ (كلام) هذه .. تقفُ في قلبي يابسةً كالشوكة ، لأن ما يدور بين الباعة على رصيف الشارع هو كلام . والضجة التي ترتفع في سوق البورصة هي مجموعةٌ من الكلام الموزون .. أيضاً .

فهل الشعرُ عند سادتنا العروضيون هو هذا النوع من الكلام ، دون أن يكون ثمةَ فرقٌ بين كلامٍ (ممتاز) وكلامٍ (رخيص) ؟

ويقالُ في تعريف ثانٍ للشعر إنه تصوير للطبيعة . وأنا أقولُ إن الفن هو صنع الطبيعة مرة ثانية ، على صورةٍ أكمل ، نسق أروع .

الطبيعة وحدها ، فقيرةٌ ، عاجزة ، مقيدة بأبدية القوانين المفروضة عليها هذه الزهرة تنبت في شهر كذا .. وهذا النبع يتفجر إذا انعقدت السحبُ مطراً ، وهذا النوعُ من العصافير يرحل عن البيادر في أوائل الشتاء .

أما في الفنّ فإنك تشمُّ رائحةَ الأعشاب لمجرد تصفحك ديوانَ ابن زيدون ، وإنك لتستطيع أن تستمع إلى وشوشة الينابيع وأنتَ أمام الموقد ، تقرأ ما كتب البحتريُّ واين المعتزّ .

أستطيع في أي موسم أن أغلق نافذتي ، وأمد يدي إلى مكتبي لأنعم بالورد والماء وبالعطر وبزقزقة العصافير المغنية ، وهي تتفجر من دواوين المتنبي ، وبولدير ، وبول فيرلين ، وأبي نواس ، وبشار ، فتُحيلُ مخدعي إلى مزرعةٍ يصلي على ترابها الضوء والعبير .

الوردةُ الحمراءُ على الرابية تموت . ولكن الوردةَ المزروعةَ في قصيدة فلانٍ لا تزال توزع عطرها على الناس وتقطّر دمعها على أصابعهم .

*

إذنْ فما هو الشعر ؟

كلّ ما قيل في هذا الموضوع لا يتعدى دراسة مظاهر التجربة الخارجية لا التجربة ذاتها ، كما يدرس العالم النفسي نتائج الغضب والانفعال والسرور على جسد الإنسان ، وكما يدرس علماء الفيزياء آثار التيار الكهربائي من ضوء وحرارة وحركة .

وجميعُ ما قرأتهُ من نظريات المعنى ، والفكرة ، والصورة ، واللفظ ، والخيال ، ونسبة كل منها في البيت ، إنما تدرس آثار التجربة الشعرية في العالم الخارجي ، أي بعد انتقالها من جبين الشاعر إلى الورق .

لا أجرؤ على تحديد جوهر الشعر .. لأنه يهزأ بالحدود . ثم ماذا يضيرُ الشعر إذا لم نجد له تعريفاً ؟

ألسنا نتقبل أكثرَ الأشياء التي تحيط بنا دون مناقشة ؟ فالروائح ، والألوان ، والأصوات التي يسبحُ كياننا فيها .. تبعثُ اللذةَ فينا دون أن نعرف شيئاً

عن مادتها وتركيبها . وهل تخسرُ الوردةُ شيئاً من فتنتها إذا جهلنا تاريخَ حياتها ؟

لنتواضع إذن على القول : **إن الشعر كهربةٌ جميلة ، لا تعمر طويلاً ، تكون النفسُ خلالها بجميع عناصرها من عاطفة ، وخيالٍ ، وذاكرة ، وغريزةٍ ، مسربلةٌ بالموسيقا** .

ومتى اكتستِ الهنيهةُ الشعرية ريش النغم ، كان الشعر . فهو بتعبير موجز (**النفسُ الملحنة**) .

لا تعرف هذه الهنيهة الشاعرةُ موسماً ولا موعداً مضروباً ، فكأنها فوق المواسم والمواعيد . وأنا لا أعرف مهنةً يجهل صاحبها ماهيتها أكثرَ من هذه المهنة التي تغزل النار .. ...

والذي أقرره ، أن الشعرَ يصنع نفسهُ بنفسهِ ، وينسج ثوبه بيديه وراء ستائر النفس ، حتى إذا نمتْ له أسباب الوجود ، واكتسى رداء النغم ، ارتجف أحرفا تلهثُ على الورق ..

ولقد اقتنعتُ أن جهدي لا يقدِّم ولا يؤخر في ميعاد ولادة القصيدة ، فأنا على العكس أعيقُ الولادة إذا حاولتُ أن أفعل شيئاً .

كم مرةٍ .. ومرةٍ .. إتخذتُ لنفسي وضعَ من يريد أن ينظم ، وألقيتُ بنفسي في أحضان مقعدٍ وثير ، وأمسكت بالقلم ، وأحرقت أكثرَ من لفافة .. فلم يفتح الله عليَّ بحرفٍ واحدٍ . حتى إذا كنتُ أعبرُ الطريق بين ألوف العابرين ، أو كنتُ في حلقة صاخبةٍ من الأصدقاء ، دغدغني ألفُ خاطر أشقر .. وحملتني ألفُ أرجوحةٍ إلى حيثُ تفنى المسافات .

*

والشعرُ يحيطُ بالوجود كله ، وينطلقُ في كل الاتجاهات ، فترسم ريشته المليحَ والقبيحَ ، وتتناولُ المترفَ والمبتذلَ ، والرفيع والوضيع . ويخطئ الذين يظنون أنه خطٌ صاعدٌ دائماً ، لأن الدعوة إلى الفضيلة ليست مهمةَ الفنّ بل مهمة الأديان وعلم الأخلاق . وأنا أؤمن بجمالِ القبح ، ولذة الألم ، وطهارة الإثم . فهي كلها أشياء صحيحة في نظر الفنان .

تصوير مخدع موسى ، واردٌ في منطق الفنّ ومعقول ، وهو من أسخى مواضيع الفنّ وأغزرها ألواناً . أما المومسُ من حيثُ كونها إناءً من الإثم ، خطأ من أخطاء المجتمع ، فهذا موضوع آخر تعالجه المذاهبُ الاجتماعية وعلمُ الأخلاق .

يقولُ مروتشه في نقد المذهب الأخلاقي في الفنّ : " إن العملَ الفني لا يمكن فعلاً نفعياً يتجه إلى بلوغ لذة أو استعباد ألم ، لأن الفنّ من حيثُ هو فنّ لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظَ من قديم الأزمان أن الفنّ ليس ناشئاً عن

الإرادة . ولئن كانت الإرادة قوامَ الإنسان الخير ، فليست قوامَ الإنسان الفنان . فقد تعبرُ الصورة عن فعلٍ يُحمد أو يذم من الناحية الخُلقية ، ولكن الصورة من حيثُ هي صورة لا يمكن أن تحمد أو تذم من الناحية الأخلاقية؟ لأنه ليس ثمة حكمٌ أخلاقي يمكن أن يصدر عن عاقلٍ ، ويكون موضوعه صورة .

" إن الفنان فنان لا أكثر ، أي إنسان يُحبُّ ويعبر ، ليس الفنان من حيثُ هو فنان عالماً ، ولا فيلسوفاً ولا أخلاقياً . وقد تنصبُّ عليه صفةُ التخلق من حيث هو إنسان ، أما من حيثُ هو فنان خلاق ، فلا نستطيع أن نطلب إليه إلا شيئاً واحداً ، هو التكافؤ التام بين ما يُنتج وما بشعر به .. ".

لو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الأخلاقيةُ في الفنّ لمات الفنّ مختنقاً بأبخرة المعابد ، ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التي نحتها ميشيل أنجلو ، والصور البارعة التي رسمها رفائيل .. لأنها إثم يجب أن لا تقعَ فيه العين .

لو ذهبنا مع أشياع هذه المدرسة إلى حيث يريدون ، لوجب أن نُخرج من حظيرة الجيد قصيدةَ النابغة التي قالها في زوجة النعمان وقد انزلق مئزرها عن نهديها .. شابين .. مرتعشين :

سقط النصيفُ ولم تردْ إسقاطهُ
فتناولتهُ واتقتنا باليــــــدِ ...

ولكان علينا أن نلعنَ النابغة ، ونعتبره ضالاً لا يستحق أن نقرأ سيرته وأشعاره .

*

وبعدُ .. وبعدُ .. ففي يد القارئ حروفٌ دافئة تتحرك على بياض الورق ، وتتسلق أصابعهُ لتعانق قلبه .

هذه الأحرف لم أكتبها لفئةٍ خاصةٍ من الناس روَّضوا خيالهم على تذوق الشعر ، وهيأتهم ثقافاتهم لهذا .

لا .. إنني أكتبُ لأي (إنسان) مثلي يشترك معي في الإنسانية ، وتوجد بين خلايا عقله ، خليةٌ تهتزُّ للعاطفة الصافية ، وللواحات المزروعة وراء مدى الظن ..

أريد أن يكون الفنّ ملكاً لكل الناس كالهواء ، وكالماء ، وكغناء العصافير ، يجب أن لا يُحرمَ منها أحد .

إذنْ ، يجبُ أن نعممَ الفنّ ، وأن نجعله بعيدَ الشمول . ومتى كان لنا ذلك استطعنا أن نجلب الجماهير المتهالكة على الشوك ، والطين ، والمادة الفارغة ، إلى عالمٍ أسوارهُ النجوم ، وأرضه مفروشةٌ بالبريق .

متى جذبنا الجماهير إلى قمتنا ، نبذوا أنانيتهم ، وتخلوا عن شهوة الدم ، وخلعوا أثواب ردائهم ، وهكذا يغمر السلام الأرض ، وينبت الريحانُ في مكان الشوك .

إنني أحلمُ (**بالمدينة الشاعرة**) لتكون إلى جانب مدينة الفارابي (الفاضلة). وحينئذ فقط . يكتشف الإنسانُ نفسه ، ويعرفُ الله ..

وفي سبيل هذه الفلسفة ، فلسفة الغناء العفويّ ، حاولت فيما كتبتُ أن أردَّ قلبي إلا طفولته ، وأتخير ألفاظاً مبسطة ، مهموسة الرنين ، وأختار من أوزان الشعر ألطفها على الأذن .

فإذا أحسّ القارئ بأن قلبي صار مكان قلبه ، وانتفض بين أضلاعه هو ، وأنه يعرفني قبل أن يعرفني ، وأنني صرتُ فماً له وحنجرة ، فلقد أدركتُ غايتي ، وحققتُ حلمي الأبيض ، وهو أن اجعلَ الشعر يقومُ في كلّ منزل إلى جانب الخبز والماء ...



١٩٤٧

مِـنّــي

إنْ رفَّ يوماً .. كتابي
حـــديقةً في يديــــكِ
وقالَ صحبكِ : شعرٌ
يقالُ في عينيــــكِ ..
لا تخبري الوردَ عني
إنيِّ أخــافُ عليكِ
ولا تبوحي بســـرِّي
ومَـنْ أكـــونُ لديكِ
ولتقـــرأيهِ بعمــقٍ
ولتُسبلي جفنيــــكِ
ولتجعليــهِ بركـــنٍ
مُجــــاورٍ نهـديـــكِ
هذي وريقـــاتُ حُبٍّ
نـمتْ على شفتيـــكِ
عاشـتْ بصدري سنيناً
لكي تعودَ إليـــكِ

أزرار

وتلكَ بضعةُ أزرارٍ .. لقد كـــــبرتْ
على جداري .. فبيتـــي كـــله عبقُ

تــعانقــتْ عنـد شباكي .. فيــا فرحي
غـــداً .. تسدُّ الربى بالورد .. والطرقُ

ما هذه العُــلبُ الحمراء .. قد فُتحــتْ
مع الصبـــاحِ ، فسالَ الوهــجُ والألقُ

لي غُرْفةٌ .. في دروب الغيم عائمـــةٌ
على شـــريط ندىً ، تطفو وتنزلقُ

مبنيةٌ مـــــن غـُيـيـمـاتٍ مُـنـَتـَّفـة
لـي صاحبان بها .. العصفورُ .. والشفقُ

أمام بابيَ .. نجماتٌ مكـــــــومةٌ
فتستريحُ لـــدينا .. ثم تنطلــــقُ ..

فللصباح مرورٌ تحـــــت نافذتي
وفي جوار سريري ، يرتمي الأفقُ

كــــم نجمةٍ حرةٍ .. أمسكتها بيدي
وللتطلـعِ غيري ، مــــا له عـُنـُقُ

يقصِّـــــر الشعرُ من عُمري ويتلفني
إذا سعيتُ ، سعى بي العظمُ والخرقُ

النارُ في جبهتي .. النارُ في رئتي
وريشـــــــتي بسعال اللون تختنقُ ..

نهــرٌ من النار في صدغي يعذبني
إلى مــــتى ، وطعامي الحبرُ والورقُ ؟

وما عتبتُ عـــــلى النيران تأكـلـني
إذا احترقتُ ، فإن الشهـــبَ تحترقُ

إني أضأتُ .. وكم خــــلقٍ أتوا ومضَوا
كأنهمْ في حســــاب الأرض ما خُلقوا ..

* * *

غـــداً ستحـتـشــــدُ الدنيا لتقرأني
ونـَخْبَ شعري ، يدورُ الوردُ .. والعَرَقُ

اليومَ بضعة أزرارٍ .. ستعـقـبـهـا أخرى
وفي كـــل عـــامٍ ، يطلعُ الورقُ ..

بلاديْ

مِنْ لثـْغـَةِ الشحرورِ ، مِـنْ
بَحـَّة نـــــايٍ مُحْزِنَهْ

مِـــنْ رجفة المُــوّال .. مِنْ
تـَنـَـهُّداتِ المئذنهْ
..

مِنْ غَـيمـةٍ تـحبكـُها
عند الغروب المدخنهْ

و جُرْحِ قِـرميدِ القرى
المنثورةِ المزيَّـنـَــهْ
..

مِـــنْ وشْوَشَاتِ نجمةٍ
في شرقنا مستوطنـــهْ

مِـــنْ قصّةٍ تـــدورُ
بين وردةٍ .. وسَوْسَنـَــــهْ

و مِـــنْ شذا فـــلاّحةٍ
تعبقُ منها (الميْجَنَهْ)

و مِـــنْ لهاث حاطـــبٍ
عاد بفـــــأسٍ مُوهَنـَهْ ..

جبـالـُنـا .. مَـــــــرْوَحَةٌ
للشرقِ .. غَـــرْقى ، ليّـنـَهْ

تـُوزّعُ الخيرَ عـــلى الدنيا
ذ ُرانـــا المُحْسِنـَــهْ

يطيـــــبُ للعصفور أنْ
يبني لـــدينا مســـــكنهْ ..

و يغـــــزلُ الصفصافُ ..
في حضن الـــسواقي موطنَـهْ

حـــــدودُنا بالياسمينِ
و النــــدَى محصنّـَـــهْ

و وردُنـــــــــا مُـفـَـتـِّـحٌ
كالفِكَرِ المُـلوَّنـَـــــــــهْ ..

و عندنا الصخورُ تـَهوَى
و الدوالي مُدْمِنـَـــــــــهْ

و إنْ غضبنا .. نزرعِ
الشمسَ سيوفا ً مؤمِنـَـهْ ..

* * *

بلادُنا كانتْ .. و كانت
بعدَ هذا الأزمِنـَـهْ ..

على الغيــمْ

فَرَشتُ أهدابي .. فلن تتعَبي
نـُزْهتنا على دمِ المغربِ

في غيمةٍ ورديّـةٍ .. بيتـُنــا
نـَسْـبَحُ في بريقها المُذْهَبِ

يسوقـُنا العطرُ كما يشتهي
فحيثـُما يذهبْ بنا.. نَذْهَبِ .

خذي ذراعي .. دربُنا فضـّة ٌ
ووعدُنا في مخدعِ الكوكبِ

أرجوكِ .. إنْ تمسّحتْ نجمةٌ
بذيلِ فستانكِ ، لا تغضبي ..

فإنهـــــا صديقةٌ .. حاولتْ
تقبيلَ رجليكِ ، فلا تعتبي

* * *

ثِقي بحُبّي .. فهو أقصوصةٌ
بِأدْمُعِ النجومِ لم تُـكْـتَـبِ

حُبِّي .. بِلَونِ النارِ، إنْ مرةً
وَشْوَشْتُ عنه الحبَّ، يَسْتَـغْرِبُ

لا تَسألينِي .. كيفَ أحْبَـبْـتَـنـي ؟
يَدفعني إليكِ .. شوقٌ نــبي ..

و اللهِ .. إنْ سَأَلتِني نجمةً
قلعتها من أفْقِها .. فاطلبي ..

هل كان ينمو الوردُ .. في قمّتي؟
لو لم تهلّـي أنتِ في ملعبي

و مطلبي لَديكِ ما يطلبُ
العصفورُ عند الجدولِ المعشبِ

و أنتِ لي .. ما العطرُ للوردة
الحمراءِ .. لا أكونُ إنْ تذهبي ..

وشوشة

في ثغرها ابتهالْ
يهمسُ لي : تعالْ

إلى انعتاقٍ أزرقٍ
حدودهُ   المحالُ

نشردُ تيّاري شَذا
لم   يخفقا   ببالْ

لا تستحي .. فالورد في
طريقنا   تــــــــلالْ

ما دمتِ لي .. مالي وما
قيلَ ، وما يُقالْ ..
*   *   *
وشوشةٌ   كريمةٌ
سخيّةُ   الظلالْ

ورغبةٌ   مبحوحةٌ
أرى   لها   خيالْ

على فمٍ يجوعُ في
عروقه السؤالْ ..

يهتفُ بي عقيقهُ
غداً لكَ النوالْ
*   *   *
أنا كما وشوشتني
ملقىً على الجبال

مخدتي   طافيةٌ
على دمِ الزوالْ

زرعتُ ألفَ وردةٍ
فدى انفلاتِ شالُ

فدى قميصٍ أخضرٍ
يوزعُ الغِـلالْ ..

قومي إلى أرجوحةٍ
غريقةِ الحبالْ

نأكل من كرومنا
ونطعمُ السلالْ

ونشربُ الفمَ الصغيرَ
سُكراً حلالْ

إن ألثمِ اليمينَ منكِ
قلتِ : والشمالْ ؟

لا تسألي : تُـحبني ؟
كنتُ ولا أزالْ

بيت

قالتْ : حرامٌ أن يكونَ لنا
على أراجيحِ الضيا .. بيتٌ ؟

يغسلُ البريقُ شباكهُ
وسقفهُ طرزهُ النبتُ

وفيه آلاتُ الهوى كلها
الكوبُ .. والقربةُ .. والتختُ ..

كمنزلِ العصفورِ .. أرضى به
فيه الطعامُ السمحُ .. والصمتُ

أقولُ فيه كلّ شيء .. فلا
بُحْتَ بما كان .. ولا بُحْتُ

وبعدها ... لا بأسَ أن ننطفي
كالعطر ، لا حسٌّ .. ولا صوتٌ ..

لولاكِ

أفكرُ .. لولاكِ
لو لم يَبحْ عن عبيركِ عيبُ
لو ان اشقرارَ صباحيَ .. لم ينزرع فيه هُدبْ ..
ولولا نعومةُ رجليكِ ..
هل طرّزَ الأرضَ عُشْبُ ؟
تدوسين أنتِ ..
فللصبح نفْسٌ .. وللصخر قلبُ
تُرى يا جميلةُ ، لولاكِ ، هل ضجَّ بالورد دربُ ؟
ولولا اخضرارٌ بعينيك ثرٌّ المواعيد ، رحبُ
أيسبحُ بالضوء شرقٌ ..؟
أيبتلُّ باللون غربُ ؟
أكانتْ تذرُّ البريقَ الرماديَّ ، لولاكِ ، شُهْبُ ؟
أكانت ألوفُ الفراشات في الحقل ، طيباً تعبُّ ؟
لو أني لستُ أحبكِ أنتِ ..
فماذا أُحِبُّ ؟

على البيادر

وتقولينَ لي : أجيءُ مع الضوءِ
بحضنِ البيادر الميعادُ ..

أنا ملقى على بساط بريقٍ
حوليَ الصحوُ .. والمدى .. والحصادُ

جئتُ قبل العبير ، قبلَ العصافيرِ ،
فللطلِّ في قميصي احتشادُ

مقعدي ، غيمةٌ تطلُّ على الشرقِ
وأفقي تحرّرٌ وامتداد

أتملى خلفَ المسافات .. وجهاً
برعمتْ من مروره ِ، الأبعادُ ..

وتأخرتِ .. هل أعاقكِ عنيّ
كومُ الزهر ِ ، أمْ همْ الحسادُ ؟

أم نسيتِ المكانَ حيث درجنا ؟
منزلُ الورد بيتنا المعتادُ

والجدارُ العتيقُ وكرْ حكايانا
إذا نحنُ في الهوى أولادُ ..

نحنُ من طرّز المساءَ نجوماً
ولنا عمْرُ وردة ٍ .. أو نكادُ ..

وزرعنا على الجبال الدوالي
فاذا الأرضُ تحتنا أعيادُ

لم يكنْ حبكِ العميقُ ارتجالاً
هو رأيٌّ .. وفكرة ٌ .. واعتقادُ ..

لا تقولي أعودُ .. بُحَّ انتظاري
حبنا كان مرة ً .. لا تعادُ

أين هُدْبٌ يمرُّ .. منسبلَ الريش
قصيفاً ، يُغمى عليهِ السوادُ

تعبَ الجرحُ يا ملونة َ العين ِ
وطاشَ الهدى ، وضلَّ الرشاد

فاهمري في المدى ضفيرة َ نور ٍ
يسفح ِ الخيرَ ، طيفك المرتادُ

وتلوحينَ .. ديمةً تعصرُ الرزق
فيجري الندى .. ويرضى العبادُ

فإذا منزلي مساكبُ وردٍ
وبثغري ، هذي القوافي الجيادْ
*   *   *
ومتى تُدركين .. أنكِ أنثى
عند نهديكِ .. يؤمنُ الإلحادُ ؟

على الدرب

زُرْ مرةً ما أصبحكْ !
وابسطْ عليّ أجنحتكْ
هيّـأتُ قلبي .. فالتصقْ
تعرفُ أنتَ مطرحكْ
طرقكَ الودُ فدسْ
وشوشني : لنْ يجرحكْ
سألتُ فيكَ الله يا معذبي أن يُصلحكْ
إقلع حبيبي .. أجرمَ الوشاحُ حين وشّحكْ
واقعد معي ..
أبيعُ عمري كلهُ كي أربحكْ ..

الضفائر السود

" رآها تتسرح مرة وتنشر
الليل عسلي على كتفيها ... "

ياشعرها .. على يدي
شلالَ ضوءٍ أسودِ ..

ألمّهُ .. ألمّهُ
سنابلاً لم تُحصدِ ..

لاتربطيه .. واجعلي
عل المساءِ مقعدي ..
من عمرنا .. على مخدات

الشذا ، لم نرقدِ ..
*   *   *
وحرَّرَتهُ .. من شريطٍ
أصفرٍ   ..   مغردِ

واستغرقتْ   أصابعي
في ملعبٍ .. حرٍ .. ندي

وفرّ .. نهرُ عتمةٍ
على الرخامِ الأجعدِ ..

تُقلِّني أرجوحةٌ سوداءُ
حيرى   المقصدِ ..

توزعُ   الليل .. على
صباحِ جيدٍ أجيدِ

هناك . طاشتْ خصلة
كثيرةُ   التمردِ   ..

تسرّ لي .. أشواق صدرٍ
أهوجِ   التنهدِ   ..

ونبضةَ النهد الصغيرِ
الصاعدِ ..   المُغردِ

تستقطرُ النبيذ مِنْ
لون فمٍ لم يُعقدِ ..
وترضعُ الضياءَ .. من
نهدٍ .. صبيّ المولدِ
*   *   *

قد نلتقي في نجمةٍ

زرقاء لاتستبعدي

تصوري ماذا يكون العمرُ
لو لم توجدي !

دورنا القمر

جعتُ .. وجاع المنحدرْ
ولا أزال أنتظرْ ..

أنا هنا وحدي .. على
شرقٍ رماديِّ السُترْ

مستلقياً على الذرى
تلهثُ في رأسي الفكرْ

وأرقبُ النوافذ الزرقَ
على شوقٍ كفرْ ..

أقول : ما أعاقها
فستانها .. أم الزهرْ ؟

أم وردةٌ تعلقتْ
بذيل ثوبها العطر ؟

أم الفراشاتُ .. ترامتْ
تحت رجليها .. زمرْ ؟

وأقبلتْ .. مسحوبةً
يخضرّ تحتها الحجر ..

ملتفة بشالها
لايرتوي منها النظرْ
أصبى من الضوءِ ..

وأصفى من دُميعاتِ المطرْ

قالتْ : صباح الوردِ ..
هذا أنتَ ، صاحب الصِغرْ ؟

ألا تزالُ مثلمـــا
كنتَ .. غلاماً ذا خطرْ ؟

تجعلني .. على الثرى
لـُعباً .. وتقطيع شعرْ ..

فإن نهضنا .. كان في
وجوهنا ألفُ أثرْ

زمانَ طرزنا الربى
لثماً .. وألعاباً أ ُخرْ

مخوّضينِ في الندىَ
مغلغلينِ في الشجرْ

أي صبيٍ كنتَ .. يا
أحبَّ طفلٍ في العمرْ ؟

* * *

قلتُ لها : الله ..
ما أكرمها تلك الذكرْ

أيام كنا كالعصافير
غناءً .. وسمرْ

نسابقُ الفراشة البيضاءَ
ثـــمَّ ننتصــــــرْ

وندفعُ القوارب الزرقاءَ ..

في عرض النهـــــــرِ ..

وأخطفُ القبلة من
ثغرٍ .. بريءٍ .. مختصرْ ..

ونكسرُ النجومَ .. ذراتٍ
ونحصي ما انكسرْ ..

فيستحيلُ حولنا
الغروبُ .. شلال صورْ

حكايةٌ نحنُ .. فعندَ
كلّض وردةٍ خبرْ !..

*   *   *

إن مرةً .. سُئِلتِ قولي :
نحن دورنا القمرْ ..

سؤال

تقولُ : حبيبتي إذا ما نموتُ
ويدرج في الأرض جثمانُنا

إلى أي شيء يصيرُ هوانا
أيبلى كما هي أجسادُنا ؟

أيتلفُ هذا البريقُ العجيب ؟
كما سوف تتلفُ أعضاؤنا

إذا كان للحبِّ هذا المصيرُ
فقد ضيعتُ فيه أوقاتنُا

*   *   *

أجبتُ : ومن قال إنا نموتُ ؟
وتنأى عن الأرض أشباحنا
ففي غرفِ الفجر يجري شذانا

وتكمنُ في الجو أطيابنـُا

نفيق مع الورد صبُحاً ، وعند
العشياتِ تقُفلُ أجفاننـُا

وإن تنفخِ الريحُ طيَّ الشقوقِ
ففيها صدانا وأصواتـُنا

وإن طننتْ نحلةٌ في الفراغ
تطن مع النحل قـُبلاتـُنا ..

* * *

نموتُ ... أما أسفٌ أن نموتَ ؟
ومـــا يبســــــت بعدُ أوراقُنا

يقولون : من نحن ؟ نحن الذينَ
حرامٌ إذا مـــــــــاتَ أمثالنـُا

ندوسُ فتمشي الطريق غلالاً
وتُنمي الحشائشَ أقدامنـُا

سيسألُ عنا الرعاة الشيوخُ
وتبكي العصافير أصحابُنا

سيخسرنا الحرجُ والحاطبونَ
وتكسدُ في الأرض أخشابُنا

غداً لن نمر عليهم مساءً
ولن تملأ الغاب نيرانـُنا

وزُرقُ الحساسين من بعدنا
سيطعمها ، وهي أولادنـُا

وفرشنا ، كورنـُا في الشتاء

بها اللفلفات .. وألعابنـا

أنتركهُا .. كيف نتركها ؟
وما أرهقت بعدُ أعصابُنا

ومخبأُنا في السياج العتيقِ
تدور .. تدور .. حكاياتـُنا

وأنتِ بقلبيَ ملصوقةٌ ..
يطولُ على الأرض إغماؤنـُا
*   *   *
سنبقى .. وحين يعود الربيعُ
يعود شذانا .. وأوراقـُنا ..

إذا يُذكرُ الوردُ في مجلسٍ
مع الورد ، تسرد أخبارنـُا ..

شَـرَق

كُسرتْ جرارُ اللونِ .. موعدنا
في الغيم .. تحت نوافذ الشرقِ

بمرافئ الفيروز .. رحلتنا
وعلى ستور المغرب الزرقِ

ومع العبير تسوحُ فرشتنا
ورديةٌ .. عطريةَ الخفقِ ..

وطعامنا ورقُ الورودِ .. وما
في الليل ، من نغمٍ ومن عشقِ
*   *   *
أحرقتني .. ومضيتِ كاذبةً
قولي ، أتلتذينَ في حرْقي ؟
عُمري يباحُ لمئزرٍ خضلٍ

ثر المواسم ، غامر الرزقِ

أفدي وراءَ الوهم .. قادمةً
كالضوء ، من ترفٍ ومن ذوقِ

قبلَ المجيء .. أشمُّ فكرتها
وأحسُّ خطوتنا على عرْقي
* * *
يا نوبتي .. وهواكِ يأكلني
صعبٌ بأنْ تتجاهلي شوقي

مُرّي .. بجوع بيادري كرماً
وتقطري سُحباً .. على أفقي ..

من كوة المقهى

" مرّتْ كزوبعة العَطر ...
تاركةً في جو المقهى خيطاً
من عبير ... "

لا تُسرعي .. فالأرضُ منكِ مزهرهْ
ونحنُ في بحيرةٍ معطرهْ ..

إلى صديقٍ ، أم تُرى لموعدٍ ؟
تائهةً كالفكرة المحررهْ

والبسمةُ النعماءُ .. فوق ميسمٍ
مسترطبٍ ، تخجلُ منهُ السُكرهْ

أم أنتِ لا تبغينَ مثلي وجهةً
فتضربين في المدى مستهترهْ

إذا أردت الدفءَ .. عندي مقعدٌ
في هذه الزاويةِ المفكرهْ
* * *

مَـنْ علـّم النجومَ كيف تختفي
بهذه المـُلتفةِ المـُزنـّره ْ ؟

على جروحي .. نقلة ً فنقلة ً
تقلبي ، حديقة ً مـُخْضَوْضره

تدفقي شلالَ عطر ٍ .. والعبي
على نجوم المغربِ المُكسرهْ

تنبَّهَ المقهى لخيطٍ خير ٍ
من الشذا .. نرميه ساقٌ خيرهْ

مهموسةُ الإيقاع .. يا لجوقةٍ
صادحةٍ .. صائحةٍ .. مُعبرهْ ..

ويغزلُ اللهيبَ حولي جوربٌ
جُنَّ على رخامةٍ مُشمره ْ

* * *

من ربوةٍ شقراءَ .. جاءتْ نفضةٌ
دفيئةٌ .. شهيةٌ .. مُعطرهْ ..

تنتقل لي من نهدها .. رسالة ً
غريقة ً بالطيب ، ريّـا ، مُزهرهْ ..

غنيةَ المرور .. مثلَ هذه
فلتكنِ الرسائلُ المحبرهْ ..

لو تقبلين دعوتي .. فإنني
مُحيرٌ يبحثُ عن محيرهْ ..

أقصمُ من لفافتي مقاطعاً
وأحتسي أخيلة ً وأبخرهْ

ما ضرَّ لو شاركتني مائدتي
في هذه الخمارةِ المثرثرهْ

لا تسألي ما اسمكَ ؟ ما أنتَ ؟ أنا
رطوبةُ القبو .. وصمتُ المقبرهْ ..

شمعة ونهد . .

يا صاحبي في الدفء
إني أختكَ الشمعهْ

أنا .. وأنتَ .. والهوى
في هذه البقعهْ ..

أوزعُ الضوءَ .. أنا
وأنتَ للمتعهْ ..

في غرفةٍ فنانةٍ
تلفها الروعهْ

يسكنُ فيها شاعرٌ
أفكارُهُ بدعهْ

يرمقنا .. وينحني
يخط في رُقعهْ ..

صنعتُه الحرفُ .. فيا
لهذه الصنعهْ ..

يا نهدُ .. إني شمعةٌ
عذراءُ .. لي سمعهْ
إلى متى ؟ نحنُ هُنا
يا أشقر الطلعهْ ..

يادورقَ العطور .. لم
يتركْ به جرعهْ ..

أحلمةٌ حمراءُ .. هذا
الشيءُ .. أم دمعهْ ؟

أطعمتهُ .. يانهدُ قلبي
قطعةً .. قطعهْ ..
*   *   *
تلفتَ النهدُ لها
وقالَ : ياشمعهْ !.

لا تبخلي عليه مَنْ
يعطي الورى ضلعهْ ..

إلى ساق . .

" نزلت من السيارة بحركة طائشة
فانزاح ستر ... وعربدت ثلوج ...
ثم استقرت في مقعدٍ وثيرٍ صالبةً
ساقيها ... "

يا انصفارَ الرخام .. جاعَ بيَ الجوعُ
لدى رقّةِ الردا المسحوبِ ..

قيلَ : ساقٌ تمرّ .. وارتجف الفلّ
حبالاً ، على طريقٍ خصيبِ ..

إنها طفلةٌ سماويةُ العين ..
بِفيها ، بعدُ ، اخضلالُ الحليبِ

عربدتْ ساقها .. تُهيرَ أناقاتٍ
وسالَ البريقُ في أنبوبِ ..
*   *   *
أقعدي .. برعمي الصغيرَ .. استقري
بعروقي .. بجفني المتعوب ..

أيُّ إثمين أشقرين .. تمدينَ ..
أضيفي إلى سجلِّ ذنوبي

ولدى الركبتينِ .. تعوي شراهاتي
على ثنيةِ اسمرارٍ رهيبِ ..

يا صليبَ الإغراء .. من خصلتيْ زهرٍ
فاهي لمسحِ هذا الصليبِ

يا دروب الحرير .. ماتتْ مسافاتي
وقالت : لقد تعبتْ . دروبي
* * *
إذهبي . غيري مكانكِ .. إخفي
ترفَ الساق .. أنتِ أصلُ شحوبي

أدخليها لوكرها .. كلُّ عرقٍ
من عروقي يصيحُ : أين نصيبي ؟

القاهرة - ١٩٤٧

حلمة . .

تهزْهزي .. وثـــــوري
يا خصلة الحــريـــــرِ
يـــا مبْسم العصفُور .. يا
أرجـــوحةَ العبيرِ ..
يا حرفَ نارٍ .. سابحـــاً
في بركَـتيْ عُطـُـورِ
يا كِلمةً مهموســـــةً
مكـــتوبةً بنـــورِ ..
سمراءُ . بل حمراءُ .. بل
لونها شعــوري
دميعةٌ حافيةٌ
في ملعبٍ غميرِ ..
أم قبلةٌ تجمـــدتْ

في نهدكِ الصغير
وارتسمتْ شرارةً
مُخيفةَ الهدير ..
مِظلةٌ شقراءُ .. فوقَ
قسوةِ الهجيرِ ..
ملمومةٌ .. مضمومةٌ
فضيةُ السريرِ ..
إبريقُ وهجٍ .. عالقٌ
بهضبتيْ سرورِ
أم أنتِ شُباكُ هوى
مطرزُ الستورِ ..
مزروعةٌ قلعَ دمٍ
ملوّنَ المرورِ ..
فراشةٌ .. مخطوطةُ
الجناح في غديرِ ..
ونجمةٌ مكسورةُ الريشِ
على الصخورِ ..
دافئةٌ .. كأنها
مرتْ على ضميري

* * *

يا حبةَ الرمانِ .. جُنّي
والعبي .. ودوري ..
ومزقي الحريرَ .. يا
حبيبةَ الحريرِ ..

العين الخضراء

" جاءت وفي يدها دفتر صغير ...
ورغبت إلى الشاعر أن يكتب شعراً
في عينيها ...
فإلى صباح عينيها الخضراوين
هذه الحروف ... "

قالت : ألا تكتبُ في محجري ؟
وانشقَّ لي حُرجٌ .. ودربٌ ثري

إنهضْ لأقلامكَ .. لا تعتذرْ
من يعصِ قلبَ امرأةٍ .. يكفرِ ..
*   *   *
وارتعشتْ جزيرةٌ في مدىً
مزعردٍ .. مُعطرٍ .. أنورِ

خضراءُ ، بين الغيم مزروعةٌ
في خاطر العبير لم تخطرِ ..

يروونَ لي أخبارَ صفصافةٍ
تغسلُ رجليها على الأنهرِ ..

لا تسبلي ستارةً غضـــــةً
دمي .. لشباكِ هوىً أخضرِ

خلـّي مسافاتي .. على طولها
باللهِ .. لا تحطمي منظري ..
*   *   *
باءتْ مع الصباح لي غابةٌ
تقولُ : من نتفَ لي مئزري ؟

حشدتِ أوراقَ الربى كلها
ضمنَ إطارٍ .. بارعٍ .. أشقرِ

يا عينُ .. يا خضراءُ .. يا واحةً
خضراءَ ترتاحُ على المرمرِ ..

أفدي اندفاقَ الصيف من مقلةٍ
خيّرةٍ .. كـــــالموسمِ الخيّرِ

يا صحوُ .. أطعنتكَ من صحتي
لا يـــوجدُ الشتاءُ في أشهري ..
*   *   *

في عينيها .. لونُ مشاويرنا
نشردُ بينَ الكرمِ والبيدرِ

والشمسُ .. والحصادُ .. والمنحنى
إذ نهدك الصبيُّ لم ينفـــــــــرِ ..

أيّ صباحٍ لبـــــــــلادي غفا
وراءَ هُدبٍ ، مطمئنٍ ، طري ..

عيناكِ .. يا دنيا بلا آخرٍ
حدودها .. دنيا بلا آخرِ

كسرتُ .. آلافَ النجوم على
دربٍ ستجتازينه .. فَكِّري ..

لوْ ..

تصوري .. لو أنتِ لم تُوجدي
في ذلك الحفلِ البهيجِ الوضي

لو حينَ راودتُــكِ عن رقصةٍ
مهموسةٍ ، رأيتِ أن ترفضـــي

ولم تَـقُـلْ أمُّــكِ مّزهـــــوّةً :
إن الفتى يدعو .. ألا فانهضي ..

لو أن منديلكِ لم ينزلــــــقْ
في زحمةٍ من ذلكَ المعـرضِ

فقلتُ : يا سيدتي .. لحظةً ! ..
ذهلتِ عن منديلــــكِ الأبيضِ

هنيهـــةٌ زرقـــاءُ لـــو أفلتتْ
منيَ لم أعرضْ .. ولم تعرضي

من ذلك التاريخ جاءَ الهوى
وقبلُ .. لم أعشقْ ولم أبغضِ

ليلتها ، عُدتُ إلى حجرتي
وبي عبيرٌ منكِ لا ينقضي ..

حاولتُ أن أنسى فلم يغمضْ
جفني ، وجفنُ الحبّ لم يُغمضِ

لو لم يكنُ ما كان .. لم ترتعشْ
لي ريشةٌ ، والشعْرَ لم أقرضِ

وظلَّ قلبي موحشاً ، يابساً
لم يعرف الدفءَ .. ولم ينبضِ

إلى رداءٍ أصفرَ ..

مرحباً يا رداءُ .. يا صيحةَ الطيب
وصُبِّحْتَ بالرضا .. يا رداءُ

يا مريضَ الخيوط .. يا أصفرَ الهمس
صباحي عليكَ وردٌ وماءُ ..

منْ بدربي رماكَ ؟ شلالَ لونٍ
فطريقي براعمٌ خضراءُ ..

دُرتَ .. واحترتَ .. واحتفلتَ بصدرٍ
مسحتهُ بكفها الكبرياءُ ..

إنسدل يا طويلُ . دُسْ فوقُ نهدٍ
زنبقيٍ .. صلى عليهِ الضياءُ ..

منْ شحوبي غُزلتَ ثوباً أنيقاً
ترتديه عملاقةٌ فرعاءُ ..

أنتَ يا زارعَ الطريق .. حكايا
لو تعادُ الحكايةُ الصفراءُ ..

لكَ ما شئت .. معصمٌ ، وذراعٌ
ثم نـهدٌ .. مخدةٌ بيضاءُ ..

لكَ بالخصر وقفةٌ .. وعلى الردف
انـهيارٌ .. وشهقةٌ .. وارتماءُ

ووراءَ الوراء .. ثمةَ خيطٌ
أكلتْ منه حلمةٌ حمقاءُ ..

هي أعطتكَ ما تريدُ .. فصفقْ
واسترحْ يا رداءُ حيثُ تشاءُ ..

لحظةً .. يا معطر الخيط .. جاءتْ
بي للطيبِ ، شهوةٌ شهاءُ

أنتَ نفسي ، ولونُ خيطكَ لوني
وعطوري ، عطوركَ السوداءُ

فيكَ بعضُ الشتاء .. يا شاحبَ الخيط
وكلّ الفصولِ عندي شتاءُ ..
*   *   *
يا خريفية الرداءِ .. عُروقي
تحت أمطار عطركِ استجداءُ ..

رسالة

وأخيراً .. أخذتُ منكِ رسالهْ
بعد عامٍ لم تكتبي لي خلالهْ
عرّشَتْ وردةٌ على الهُدْب .. لما
رحتُ أتلو سطورها في عجالهْ

أبريدُ الحبيبةْ الغضُّ .. هذا ؟
أم ربيعٌ مُـجرِّرٌ أذيالهُ
فعلى أرض حُجرتي اندفعَ الزهرُ
وفوق الستارة المنهالهْ
مرحباً .. ضيفةَ الهوى ، بجفوني
رقعةٌ ، عاطفيةٌ ، سلسالهْ
كلُّ حرفٍ فيها خزانةُ طيبٍ
يا لهُ عطركِ النسائيَّ .. يا لهُ
وعليها تركتِ ما يتركُ النهدُ
صباحاً .. على نسيج الغلالهْ
إنه خطكِ النسيقُ .. أمامي
مدَّ فوقي ورودهُ .. وظلالهْ
أنثويٌ .. ململمُ الحرفِ .. ممدودٌ
أحبُّ انخصاره .. وانفتالهْ ..
أنتِ في غرفتي .. وما أنتِ فيها
صورةٌ في خواطري مُـختالهْ
أنتِ بين الحروف .. هدبٌ رحيمٌ
وفمٌ .. رفَّ رحمةً ونبالهْ ..
كلّث شيءٍ .. حتى لهاثكِ فيها
والسراجُ الذي يصبُّ سُعالهْ
وانقباضُ الفم الصغير .. وصدرٌ
هاجمُ الحلمتينِ .. أفدي انفعالهْ
إنني سامعٌ صياحَ قميصٍ
شرسٍ .. زلزلَ الهوى زلزالهْ
وأعي إذْ أعي .. انفلاتةَ شعرٍ
غجريٍ . أرخى عليَّ خيالهْ

* * *

لا تكوني بخيلةً .. واكتبي لي
في عروقي مقرُّ كلِّ رسالهْ ..

الشَفَة

مُـنْـضـمةٌ .. مُرَقزقهْ
مبلولةٌ كالورقهْ

سبحانهُ منْ شقـَّها
كما تشقُّ الفستقهْ
نافورةٌ صادحةٌ
وفكرةٌ مُـحلقَـهْ
وعاءُ وردٍ أحمرٍ
في غرفةٍ مُزَوّقَـهْ
وباقةٌ من كرزٍ
بأمها معلقهْ
ماذا على السياج ؟
أيُّ وردةٍ ممزقهْ
قرّتْ على لين الحرير
لوحةً موفقهْ ..
وعرّشتْ على بياضِ
وجهها كالزنبقهْ
رفيقةٌ للهدبِ ،
للجديلةِ المصففهْ
للمقلة الخضراءِ ..
للغلالة المغرورقهْ
كم قـُبلةٍ زرعتها
منغومةٍ مموْسقهْ
على فمٍ كأنما
خَلاقـُهُ ما خلقهْ
وأنتِ فوق ساعدي
مأخوذةٌ مُـستغرقهْ
مرتاعةٌ .. ضفيرةً
حيرى ، وعيناً مُـغلقهْ
أبيننا .. ما بيننا
وأنتِ خجلى مُطرقهْ ؟

إلى مضطجعة . .

.. ويقالُ عن ساقيكِ : إنهما
في العُـرْي .. مزرعتانِ للفلِ
ويقال : أشرطةُ الحرير .. هما

ويقالُ : أنبوبانِ من طلِّ
ويقالُ : شلالانِ من ذهبٍ
في جوربٍ كالصبح مبتلٍ
هربَ الرداءُ وراءَ ركبتها
فنعمتُ في ماءٍ .. وفي ظلِّ
وركضتُ فوق الياسمينِ .. فمن
حقلٍ ربيعيٍ إلى حقلِ
فإذا المياهُ هناك باكيةٌ
تصبو إلى دفءٍ .. إلى وصلِ ..
يا ثوبها ، ماذا لديكَ لنا ؟
ما الثلجُ ؟ ما أنباؤه ؟ قُلْ لي
أنا تحتَ نافذة البريق .. على
خيطٍ غزير الضوء ، مُخضَلِ ..
لا تمنعي عنّي الثلوجَ .. ولا
تـُخفي تثاؤبَ مئزرٍ كحلي ..
إني ابنُ أخصبِ بـُرهةٍ وجِدتْ
لا تـُزعجي ساقيكِ ، بل ظلي ..

إسمها

هناك .. بعضُ أحرفِ
تصحبني كمُصْحفي
أهذه جنينةٌ ؟
تورقُ تحتَ معطفي
ففي الضُحى .. وفي الدُجى
وفي الأصابيح .. وفي ..
ما صيحةُ العصفور .. ما
تنهداتُ المِعْزَفِ ..
يا سحبةً من نغمٍ
تومضُ ثم تختفي
يمرُّ ، نيساناً ، على
شوقي .. على تلهفي
ويلتوي سلكَ حريرٍ
بارعَ التعطفِ

ينقلني من رفرفٍ
مُـخضوضرٍ .. لرفرفِ ..
أنا الذي يعومُ في
جرح هوىً لم ينشفِ
* * *
إسمكِ .. لا .. عفوكِ
أنتِ فوقَ أنْ تـُعرفي ..

غرفة

يا غرفةً .. جميعُ ما
فيها نسيقٌ .. حالمُ
تروي الهوى جدرانها
والنورُ .. والنسائمُ
أشياؤكِ الأنثى بها
نثيرةٌ .. تزاحمُ
فدورقُ العبير يبكي
والوشاحُ واجمٌ
وعقدكِ التريكُ
أشجاهُ الحنينُ الدائمُ
وذلكَ السوارُ يبكي
حبنا .. والخاتمُ
في الركن منديلٌ .. يناديني
شفيفٌ فاغمُ
ما زالَ في خيوطهِ
منكِ عبيرٌ هائمُ
وتلكَ أثوابُ الهوى
مواسمٌ .. مواسمُ
هذا قميصٌ أحمرٌ
كالنار لا يُقاومُ
وثمَّ ثوبٌ فاقعٌ
وثمَّ ثوبٌ قاتمُ
تـُذكي جحيمي صورةٌ
تلفها البراعمُ

وأنتِ من ورائها
هُدبٌ . ووجهٌ ناعمُ
ومبسمٌ ململمٌ
يُحارُ فيه الراسمُ
كأنما أنتِ هنا
..
طيفٌ .. وصوتٌ ناغمٌ
أنتِ التي في حانبي
أم الإطارُ الواهمُ
* * *
سمراءُ .. يا سمراءُ .. بي
إليكِ شوقٌ ظالمُ
عُودي ! على ضفائر الغيم
اللقاءُ القادمُ ..
لا تتركيني .. لم يكنْ
لولاكِ هذا العالمُ ..

الموعِد

وموعدٍ .. لها معي
أرمي إليه أذرعي
يهتفُ بي من شفةٍ
أنيقةِ التجمعِ ..
قال : تلاقيكَ على
شريط لونٍ ممتعِ
وجهتنا شواطئ العطر
السخيّ الممرعِ
وقلعنا فراشةٌ
صبيغةٌ ، فأسرعي ..
واحتشد الزمانُ ..
حول امرأةٍ .. وموضعِ
فرغبةٌ تنبحُ بي
ورغبةٌ لم تشبعِ
يكادُ أن يطفو على
دمِ النجوم مخدعي

تخطفُ أجفاني انخطافاتُ
وشاحٍ مُسرعِ
وامرأةٌ تعدو على
حدسي .. على توقعي
أكرمُ من أصابع الشتاء
هُلـِّي .. وانـْبـُعي ..
لا تبخلي ! في قبضتي
الدنيا ، إذا أنتِ معي ..

طفلتها

" بعد عشرة أعوام من الحب المستحيل ،
تمرّ بالشاعر طفلتها . فيأخذها بين
ذراعيه ليضم فيها صورة أمها ... "

طالعني دربي بها مرّةً
ترفُّ كالفراشة الجامحهْ

طفولةٌ كم تبوحُ الربى
ومبسمٌ كأنهُ الفاتحهْ ..

وكنتُ شيعتُ زمانَ الهوى
وانطفأتْ زوابعٌ نابحهْ ..

يا طيبها .. أعزّ أنموذجٍ
من بعد تلك الغربة الفادحهْ

وكيفَ هذا كانَ ؟ قد أورثتْ
حتى رنينَ اللثغةِ الصادحهْ

حتى انثيالَ الشعر .. حتى
الفمَ الملمومَ .. حتى النظرة السارحهْ

يا وجهها الصغيرَ .. غبَّ النوى
نفضتني .. جارحةً .. جارحهْ ..

هل أقبلتْ طفلتها بعدها
تفجعني بأمها النازحهْ ..

عشرة أعوامٍ .. على حبها
كأنهُ في الليلة البارحهْ ..

ولم تزلْ صورتها في دمي
غريقةً .. أنيقةً .. سابحهْ

*   *   *

أخَـذتُـهَا   مقبلاً   باكياً
أما بها من أمها رائحه ؟

إلى وشاحٍ أحمرَ

سألتكِ ، كيفَ جمعتِ الجراحْ ؟
فجاءت وشاحْ
يعربدُ .. قنديلَ نارٍ ووهجٍ ..
بكفِّ الرياحْ
ويطفو .. ويرسو .. وقد يستريحُ
ببعض النواحْ ..
على أي وجهٍ يرفُّ .. وينهارُ
أيّ صباحْ ؟
إذا التمحَ النهدَ .. ثارَ .. وحارَ
وهزَّ الجناحْ
وحطَّ على مقعديْ زنبقٍ
وعشيْ صداحْ ..
ليجمعَ زهراً .. ويقطفَ فلاً
ويجني أقاحْ
وعند الجدائل يحصدُ ظلاً
وعطراً مُباحْ

*   *   *

أبيحُ شبابي .. لنهر لهيبٍ
تلوى .. وراحْ
إلى أينَ ؟ من صحتي تُطعمينَ

القبلة الأولى

عامان .. مرا عليها يا مقبلتي
و عطرها لم يزلْ يجري على شفتي
كأنها الآن .. لم تذهب حلاوتها
و لا يزالُ شذاها ملءَ صومعتي
إذ كان شعركِ في كفيَّ زوبعةً
وكان ثغركِ أحطابي .. وموقدتي
قولي . أأفرغتِ في ثغري الجحيم .. و هل
من الهوى أن تكوني أنتِ مُحرقتي
لما تصالبَ ثغرانا بدافئةٍ
لمحتُ في شفتيها طيفَ مقبرتي
* * *
تروي الحكاياتُ أن الثغرَ معصيةٌ
حمراءُ .. إنكِ قد حببتِ معصيتي
و يزعمُ الناسُ أن الثغرَ ملعبها
فما لها التهمتْ عظمي و أوردتي؟
يا طيبَ قبلتكِ الأولى .. يرفّ بها
شذا جبالي .. وغاباتي .. وأوردتي
و يا نبيذيةَ الثغر الصبي .. إذا
ذكرتهُ ، غرقتْ بالماء حنجرتي ..
ماذا على شفتي السفلى تركتِ .. و هل
طبعتها في فمي الملهوبِ .. أم رئتي ؟
لم يبقَ لي منكِ .. إلا خيطُ رائحةٍ
يدعوكِ أن ترجعي للوكر .. سيدتي
ذهبتِ أنتِ لغيري .. وهي باقيةٌ
نبعاً من الوهج .. لم ينشف .. ولم يمتِ
تركتني جائعَ الأعصاب .. منفرداً
أنا على نهم الميعاد .. فالتفتي ..

همجية الشفتين

لفي تحاريرَ الهوى .. وامضي
أنا في السماءِ .. وأنتِ في الأرضِ ..

غوري مع الشيطان .. لا أسفٌ
ولتبتلعكِ زوابعُ البغضِ ..

همجية الشفتين .. بئس هوىً
يقتاتُ من عصبي .. ومن نبضي

عطلتُ صدري عند تاجرةٍ
كالدود ، من روضٍ إلى روضِ ..

حاولتُ أن أدنيك من قممي
فهزئتِ من عطري .. ومن ومضي

ما أنتِ من بعدي .. سوى طللٍ
أنقاضهُ تبكي على بعضِ ..

ذئبة

" إلى راقصة شرقية "

.. وداستْ على أذرع الضوء ..
ترفضُ .. ميداءَ عذبةْ
كقافلة العطر .. تطوي المدى
سحبةٍ إثرَ سحبةْ
تلوبُ خلالَ المصابيح
نهراً .. أضاعَ مصبةْ
على شعرها الغجريِّ
يئنُ مساءٌ .. ورهبةْ
وفي ثغرها الكرزي المليء
تُبرعمُ رغبهْ
على نقلة الساقِ ..

يهمرُ ثلجٌ .. وتخضلُّ تـُربةْ
وفي مقلعٍ للرخام ..
هنالكَ ، تنبضُ هضبةْ
إذا انفعلَ اللحنُ .. ثارتْ
شفاهاً .. وصدراً .. وركبةْ
وثدياً .. كزوبعة الفلِّ
يفتح في الريح دربةْ ..
تمدُّ إلى النجم .. ظفراً
غمسياً .. تحاولُ جذبةْ
وقد تنحني مرةً في الطريقْ
لتلقطَ حبَّةْ ..

* * *

إذا انتحرَ اللحنُ .. راحتْ
تئنُّ على الأرض .. ذئبةْ ..

إمرأة من دخان

كيفَ فكرتِ في الزيارة ؟ قـُولي
بعد أن أطفأتْ هوانا السنينُ
إجمعي شعركِ الطويلَ .. يخيفُ
الليلَ .. هذا المبعثر المجنونُ
لا تدقي بابي .. وظلي بعمري
مستحيلاً ، ما عانقته الظنونُ
أنت أحلى ممنوعةَ الطيف ، خجلى
يتمنى مروركَ .. الياسمينُ
لا أريدُ الوضوحَ .. كوني وشاحاً
من دخانٍ .. وموعداً لا يحينُ
و لتعيشي تخيلاً في جبيني
و لتكوني خرافةً لا تكونُ
إتركيني أبنيكِ شعراً .. و صدراً
أنتِ لولايَ يا ضعيفةُ .. طينُ
و دعي لي .. تلوين عينيكِ إني
تتمنى ألوانَ وهمي العيون .
لا تجيئي لموعدي .. واتركيني

في ضلالٍ ، يبكي عليه اليقينُ
و احرقيني .. إذا أردتِ ، فإني
لا أطيقُ الجمالَ حين يلينُ
أنا ما دمتِ في عروقي همساً
فإذا كنتِ واقعاً لا أكونُ!

نار

أحبها أقوى من النارِ
أشدَّ من عويل إعصارِ

أقسى من الشتاء حبي لها
فيا لها من دفق أمطاري ..

لو مرَّ تفكيري على صدرها
أحرقها حرقاً بأفكاري ..

أو أفلتتْ حلمتها .. صدفةً
حدجتها بعين جزّارِ ..

لا يعرفُ الحدودَ حبي لها
كأنها تجري بأغواري
*   *   *
أريدها وحدي .. فلا يدّعي
غيري هواها .. تلك أطواري

أريدُ أن أطوي عليها يدي
من ريبتي .. من فرْط إيثاري

أحبها وحدي .. وما ضرني
أن تنقلَ النجومُ أخباري

فيشربُ الصباحُ أنوارها
ويشربُ الغروبُ أنواري ..

*   *   *

ما دُمتِ لي .. سرُّ المساءِ معي
و هذه الأقمارُ أقماري ..

وأنجمُ المساء لي مئزرٌ
وفوق جفن الشرث مشواري

طائشة الضفائر

تقولين : الهوى شيءٌ جميلٌ
ألم تقرأ قديماً شعر قيسِ ؟

أجئتِ الآن .. تصطنعين حباً
أحسَّ به المساءُ .. ولو تحسي

أطائشة الضفائر .. غادريني
فما أنا عبد سيدة وكأسِ ..

لقد أخطات ، حين ظننتِ أني
أبيع رجولتي .. وأضيعُ رأسي

فأكبر من جمالكِ كبريائي
وأعنف من لظى شفتيكِ بأسي ..

*   *   *

خذي علبَ العطور .. وألفَ ثوبٍ
تعيشُ بمخدعي أشباحَ بؤسِ

وصورتكِ المعلقةَ احمليها
فمنْ خلفِ الإطارِ يطل أمسي

لقد طرزتُ دربكِ ياسميناً
فدستِ براعمي .. وقطعتِ غرسي

حملت لكِ النجومَ على يميني

وصغتُ لك الصباحَ وشاحَ عرسٍ
* * *
أتافهةَ الوصالِ .. إليّ ردي
عويلَ زوابعي .. وجحيم حسي

لقد شوهتي أيامي وعمري
فجفت ريشتي .. وانبحّ همسي

أعيديني إلى أصلي جميلاً
فمهما كنتِ .. أجمل منك نفسي

المستحمة

مراهقة النهد .. لا تربطيهِ
فقد أبدعتْ ريشة الله رسمهْ

وخليهِ .. زوبعةً من عبيرٍ
تهلُّ على الأرض رزقاً ونعمهْ

هو الدفءُ . لا تُذعري إن رأيتِ
قميصكِ .. يزهو بأروع قمهْ

فما عُدتِ يا طفلتي طفلةً
سيهمي الشتا .. غيمةً بعد غيمهْ

ويخرجُ من فجوة الثوب نهدٌ
ليأكل من مسبح الضوء نجمهْ ..

كبرتِ .. فحوضُ اغتسالكِ جُنَّ
بتلكَ المجردةِ المستحمهْ

وصدركِ مزرعةُ الياسمينِ
تفتقَ عن حلمةٍ .. بعد حلمهْ ..

*   *   *

أشقراءُ . يا سحباتِ الحرير
زرعتِ الرمالَ .. اشتهاءً وغُلمهْ ..

تمدينَ للماء .. إصبعَ طفلٍ
فينسحبُ البحرُ .. حباً ورحمهْ ..

تلاشيْ على مضجعٍ أزرقٍ
وكوني لأمواجه الهُوج لُقْمَهْ ..

أخافُ على البحر أن تحرقيهِ
فلا تجرحي يا جميلةُ حُلمهْ ..

*   *   *

صبيةُ .. إني احتراقٌ كئيبٌ
فمري بدفءِ جروحيَ نسمهْ

أنا دخنةٌ منكِ .. لا تطمئنٌّ
فلا تطعميني لنهديكِ .. فحمهْ

عند امرأة . .

كانتْ على إيوانها
وكانَ يبكي الموقدُ

وكلُّ ما في بيتها
مُعطرٌ .. مُمهَّدُ

يمدّ لي ذراعهُ
يقولُ : عندي الموعدُ

حتى الرسومُ تشتهي
هُنا .. ويندى المقعدُ

ومنْ وراء بابها

يعوي شتاءٌ ملحدُ

وفي الذرى رعدٌ .. وفي
أعماق روحي تـُرعد

وفي صميمي غيمةٌ
تبكي .. وثلجٌ أسودُ
* * *
وكنتُ في جوارها
تصبُّ لي .. وأنشدُ

وعدةُ الشتاء
شعرٌ .. ونبيذٌ جيدُ

وشمعةٌ مسلولةٌ
أتعبها التنهدُ ..

لم يبقَ إلا سعلةٌ
وبعدها تـُستشهدُ
* * *
كانتْ تئنُّ مثلما
يئنّ ذئبٌ مُجهد

ترنو إليّ لبوةً
برغبةٍ لها يدُ ..

وساقها من عُتمةِ
الغطاء .. أفعى تشردُ

وجسمها تحت اللهيب
مُرعبٌ .. مورَّدُ

والعقدُ فوقَ ناهديها

سابحٌ .. مُغرِّدُ

كعقدها غريزتي
تنهارُ .. ثم تصعدُ ..
* * *
كانتْ كما أريدها
يحارُ فيها الموجِدُ

قد أدركتْ ذوقي وما
من النساء أعبدُ

فشعرها كما أحبُّ
مُـهمَلٌ مبددُ

ونهدها كسلةٍ
من ياسمين يعقدُ ..
* * *
كانت إذنْ ممدودةً
وكان يبكي الموقدُ

وكانت الأحراجُ تبكي
والخليجُ يُزبدُ

وفي صميمي غيمةٌ
تبكي ، وثلجٌ أسودُ ..

مصلوبة النهدين

مصلوبة النهدين .. يالي منهما
تركا الردا .. تسلقا أضلاعي

لا تحسي بي الظنّ .. أنتِ صغيرةٌ
والليل يُلهبُ أحمرَ الأطماعِ ..

ردّي مآزركِ التريكةَ .. واربطي
متمرداً .. متبدلَ الأوضاعِ

لا تتركي المصلوبَ يخفقُ رأسه
في الريح .. فهي كئيبةُ الإيقاعِ
* * *
يا طفلةَ الشفتينِ .. لا تتهوري
طبعُ الزوابع فيه بعضُ طباعي

أبحثتِ عن ماضيَّ .. عن مُتَلوّنٍ
شارٍ بأسواق الهوى بَيّاعِ

قالتْ : فما ماضيكَ ؟ قلت : تفرجي
جُثَثٌ .. وأمراضٌ .. وبئرُ أفاعي

أضميري الموبوءُ .. أيوُ كذبةٍ
مسمومةٍ تُلقينَ في أسماعي

عودتُ نهدكِ وهو كومُ أناقةٍ
أن ترهنيهِ للذتي .. ومتاعي
* * *
عُودي لأمك .. ما أنا بحمامةٍ
فغريزةُ الحيوان تحت قناعي

ما أنتِ حينَ أريدُ ، إلا لعبةٌ
بلهاءُ .. تحت فمي وضغطِ ذراعي ..

##############################
#----------------------------------#
#------------- النهاية -------------#
#----------------------------------#
##############################